معيارية النقد اللغوي
قراءة في التراث النقدي العربي-

Standard Language Criticism
Read in the inheritance of Arab criticism

د. رزايقية محمود – أستاذ محاضر"أ"
المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي- تيسمسيلت
البريد الالكتروني: abousoltane141@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/09/29 تاريخ القبول:2020/05/07 تاريخ النشر: 2020/06/17

ملخّص:

موضوعُ هذه الدراسة هو " معيارية النقد اللغوي"، وهو عبارة عن دراسة تحليلية نقدية، تهدف إلى إبراز أهمية النقد اللغوي بالنسبة للأثر الأدبي. فقد ساعد النقدُ اللغوي على تنقية العربية من اللّحن، والسعي إلى صحّة الاستعمال من حيث اللغة والنحو والصرف، وإلى نقاء الأثر الأدبي ورُقيّه .

فلغةُ النصّ هي أوّلُ ما يواجه الناقد، لذلك نجده يتّجه إلى دراسة النصّ وتحليله مرّتين:

مرّة في ضوء المعاجم والقواعد الصوتية، والصرفية، والنحوية، لبيان مطابقة لغة النصّ لها، وهذا ما يُسمّى بمعيار الصواب والخطأ، ومرّة في ضوء مقاييس لغوية ذات طبيعة جمالية، وهذا ما يُعرفُ بمعيار الجودة والرداءة.

الكلمات المفتاحية: اللغة؛النقد؛المعيارية؛الخطأ؛ الصواب؛التراث.

ABSTRACT

The subject of this study is "Standard Language Criticism"; It is a critical analytical study, aimed at highlighting the importance of linguistic
criticism for literary impact. Language criticism has helped to purge Arabic of error, to seek the correctness of use in terms of language, grammar and interpretation, and to purify the literary effect.
The language of the text is the first to face the critic, so we find it tends to study the text and analyzed twice:

Once in the light of dictionaries and grammar, grammatical, and grammatical, to indicate the conformity of the language of its text, This is called the right
and wrong standard. And once in the light of linguistic standards of an aesthetic nature, this is known as the criterion of quality and inferiority.
Keywords: ***Language; criticism; standard; wrong; right; heritage.***

تقديـم:

إنّ اللّغة العربية هي مفتاح علوم العربية جميعها، فلا يستطيع الدارسُ لتلك العلوم أن يبدأ دراسته إلّا بدراسة اللغة العربية أوّلاً، واللغةُ العربيةُ هي المنفذ الوحيد لدراسة النص القرآني، والبحث عن معانيه، والكشف عن دلالاته.

واللّغةُ وسيلةُ الأدب وأداتُهُ، فقد أودع الشعراءُ في العربية أكرمَ المعاني وأنبلَ الأساليب، وباللغة سالت عيونُ الفصاحة والبلاغة والبيان على ألسنة الشعراء والخطباء والبلغاء. ولم يُبدعْ أحدٌ في فنّ من فنون الأدب ما لم يأخذ بناصية اللّغة ويتمكّن منها، حيث أدرك اللغويون هذه الحقيقة، فكانت لهم وقفاتٌ طويلةٌ في النقد اللغوي؛ فهو معيار جودة النص الأدبي، وذلك لأنه تصدى لقضايا لغوية. ففي النقد اللغوي حياة

العربية، إذ هو يُجلّيها، فيميّزُ خبيثَها من طيّبها، ومعوجها من مستقيمها، وغامضها من جليها، وقريبها من بعيدها .

وحرصاً من علمائنا الأوائل على درء فساد اللّسان العربيّ من اللّحن، قاموا بتأليف الكتب لحفظ مفردات اللّغة العربية، وسنّوا لها من القواعد ما يصون تراكيبها من الخطأ والانحراف، وهذه العناية شملت معجمها وصوتها وصرفها ونحوها وبلاغتها ودلالتها.

كانت تلك الكُتب تقوم بإصلاح أغلاط اللّغة، والتوجيه إلى الصواب، وهي كتبٌ ذاتُ قيمة عالية في حركة التصحيح اللغوي؛ ومن أهمّ وأشهر هذه المؤلّفات التي تكشف فضائح لحن خاصة الناس، والتي يمكن تسميتها بكتب النقد اللغوي، نجد كتاب(البيان والتبيين) للجاحظ(ت255ه) الذي باباً خاصاً بعنوان(من اللحّانين البلغاء)، وجاء بعده ابنُ جنّي(ت392ه) الذي تناول هذا الموضوع في كتابه الخصائص ضمن باب سمّاه(سقطات العلماء)، وكتاب(ما لحن فيه الخواص من العلماء) لأبي أحمد العسكري(ت382ه)، وكتابٌ مفقودٌ لأبي هلال العسكري(ت400ه) سمّاه(لحن الخاصّة)، وكتاب(درّة الغوّاص في أوهام الخواص) للحريري(ت516ه). وغيرها كثير..

أوّلاً:النقد اللغوي: المفهوم والأهمية

قبل البدء بتعريف مركّب (النقد اللغوي) يجبُ الوقوف على العناصر التي يتكوّن منها هذا المركّب، حتى يتبيّن لنا المفهوم المحدّد لكلّ جزء.

أ- مفهوم النقد:

لقد شاعت كلمةُ (النقد) عند العرب منذ القدم، وكانت تدلّ على معان عديدة عندهم، لعلّ من أبرزها كما جاء في معجم العين: " تمييز الدّراهم"[1]، وفي اللسان : " النقدُ والتنقادُ: تمييزُ الدراهم وإخراج الزيف منها... ونقدتُ الدراهم وانتقدتها: إذا أخرجتُ منها الزيف"[2]. وصاحب هذا العمل هو الناقد.

أنشد سيبويه(ت180ه):

تنفي يداها الحَصى في كلّ هاجرةٍ نفيَ الدّنانير تنقادُ الصياريفِ[3].

ومن معانيها: العيب، كما في قول أبي الدرداء: " أدْرَكْتُ الناسَ ورقاً لا شوكَ فيه، فأصبحوا شوكاً لا ورقَ فيه، إن نقدتهم نقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك. قالوا: فكيف نصنع؟ قال: تقرضهم من عرضك ليوم فقرك"[4].

كما تدلّ كلمة (النقد) أيضاً على النقاش، يقال: " ناقدتُ فلاناً: إذا ناقشته في الأمر"[5].

وانتقلت كلمة (النقد) من معناها الأصلي إلى المعنى المجازي في الأدب، لتدلّ على ما يقومُ به نقّادُ الأدب من محاولة التمييز بين جيّد الأدب ورديئه. وبدأت هذه الكلمة تُوظّف بين النقاد والكتّاب للدلالة على نقد الكلام، وتمييز النصوص الأدبية الجيّدة من الرديئة بعد إظهار محاسن النصوص ومساوئها.

ب- **(النقد) في الاصطلاح:**

أصبح لكلمة (النقد) في الاصطلاح مفاهيم خاصّة، منها: تسليطُ الضوء على النصّ نثراً كان أو شعراً، لبيان المقصود منه، وتوضيح مواطن القوة والضعف فيه[(6)]. أو هو " تمييز جيّد الأدب من رديئه... والحُكمُ على ذلك الأدب، وإنزالُ المنقود منزلته، ثمّ تقويم الأديب الذي أنتج النصّ"[7]، أو هو " تحليلُ القطع الأدبية وتقدير ما لها من قيمة فنية"[8].

ويرى القاضي الجرجاني(ت 392هـ)، أنّ النقد مهمّة ليست باليسيرة، فهي تحتاج إلى علم واسع وذوق رفيع وإنصاف، وعلى الناقد الجمع بين العلم والذوق. وهذا العلمُ واسعٌ لا يقف عند اللّغة أو الإعراب، وإنما يتجاوزهما إلى كلّ ما لَهُ علاقة بالرأي[(9)].

ومن دلالات النقد ما صُرف للجانب الدّلالي من اللّغة؛ وهو الذي عُرف بالنقد البلاغي أو البياني، وإنّ مباحث هذا النوع النقدي متنازعة بين أهل الأدب والبلاغة، فهذا النقد يُعنى بنقد الصورة البلاغية في النص الأدبي والكشف عن طبيعتها وإبراز مواطن الجودة والرداءة فيها.

وفي العصر الحديث اتّسع مفهوم النقد الأدبي ليصبح " تعبيراً عن موقف كلّي متكامل في النظرة إلى الفنّ عامّة أو إلى الشعر خاصّة، يبدأ بالتذوّق؛ أي القدرة على التمييز، ويعبرُ منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم"[10].

ج- **مفهوم النقد اللغوي:**

النقدُ اللغويّ هو: مركّبٌ وصفيٌ متكوّن من صفة وموصوف، والصّفة فيه قيدٌ له من إدراج غيره فيه، و(اللّغويّ): نسَبٌ على القياس إلى اللغة، والمقصود بها هنا اللغة العربية وإن لم تُحدّد. وللعربية عددٌ من

العلوم تُسمّى (علوم اللغة العربية)، وهي: علم الصوت، وعلم الصرف، وعلم النحو(التراكيب)، وعلمُ المعجم، وعلم البلاغة، وعلم الدلالة.

لا يخفى أنّ للنقد اتّجاهات ومناهج، والذي يهمّنا في هذا المقام، وعليه مدار دراستنا هو النقد اللّغوي . وهو منهجٌ يقوم على " النظر في لغة النصّ، ويتّجهُ إلى فقهها بوصفها أداة الأديب وموضع عنايته ومجال نبوغه وأصالته "[11].

فالنقدُ اللغويُ جانبٌ من جوانب عناية العرب بالعربية، ووسيلةٌ من الوسائل التي اتّخذوها لبَيان قيمتها ومكانتها، والحفاظ على سلامتها؛ إذ هي لغةُ الكتاب المجيد، والحديث الشريف، وأقوال الصحابة وأهل البيت والتابعين، والبلغاء والفصحاء من العرب أجمعين. وقد ساعد على قيام هذه الحركة اللغوية والنحوية التي نشطت في وقت مبكّر من النصف الثاني من القرن الأوّل قيام الدراسات القرآنية والحديثية، ونشاط الشعر والشعراء. فكان الكسائي والفرّاء وثعلب وغيرهم من كبار الكوفيين الذين عنوا بها، وكان الخليلُ وسيبويه والمبرّد وغيرهم من كبار البصريين الذين تناولوها[(12)].

والواقع أنّ كلّ النصوص تتنازعها أنواع النقود، والأنواع النقدية جميعها تعتمد اعتماداً أساسياً على النقد اللغوي، وخاصة القاعدة النحوية؛ لأنها أهم معايير النقد في تقييم النصوص ونقدها ، فلابدّ لناقد الأدب واللغة والبلاغة من أن ينظر إلى النص الذي شرعه للنقد بالمنظور اللغوي والنحوي. فلغة النص هي أوّل ما يواجهه الناقد، وأوّل اطّلاعه على نصّ ما يتّجه مباشرة إلى دراسته وتحليله عبر مقياسين متكاملين:

الأول: في ضوء المعاجم والقواعد النحوية والصرفية لبيان مطابقة لغة النص لها، وهذا ما يسمى بمقياس الصواب والخطأ.

الثاني: في ضوء مقاييس لغوية ذات طبيعة جمالية، تستقى من طبيعة اللغة وخصائصها الذاتية، وهذا المقياس يُعرفُ بمقياس الجودة والرداءة.

الصواب عند النقاد ما وافق لسان العرب بقواعده وضوابطه، وهو مقياس قريب من الدقة والموضوعية. ويمكن أن نقف على كثير من النماذج والأقوال في التراث النقدي العربي تثبت حرص النقاد القدامى على الصحة اللغوية في النصوص الأدبية، وخصوصا في نقد الشعر.

على سبيل المثال، يؤكّد ابنُ طباطبا على سلامة الشعر من اللحن والخطأ، قال: " فإذا كان الكلامُ الواردُ على الفهم منظوما مصفى من كدر العيّ، مقوّماً من أود الخطأ واللحن سالما من جور التأليف، موزونا بميزان الصواب لفظا ومعنى وتركيباً اتّسعت طرقُه، ولطفت موالجه فقبله الفهمُ، وارتاح له، وأنس به "[13].

مظاهر النقد اللغوي عند القدامى:

إنّ النقد العربي القديم وليدُ النصّ، إذ تشكّل هذا النقدُ وِفق معايير استُنبطتْ من النصوص الأدبية الأولى، ثمّ أصبحت تلك المعاييرُ عبارة عن قواعد مرجعية تقوم على انطباعات عفوية عابرة يُطلقها المتلقّي للنص إثر انفعاله عند سماعه للأبيات الشعرية، وغالباً ما كانت تصدر تلك الأحكامُ النقديةُ الانطباعيةُ في العصر الجاهلي من شعراء كبار متمرّسين في قول الشعر.

وكان ميدان النقد التطبيقي أسواق العرب التي تستقبل وفود العرب من قبائل عدة، وكثرت المجالس والنوادي الأدبية التي كانوا يتذاكرون فيها الشعر، وكثُرَ الشعراءُ بأفنية الملوك، كملوك المناذرة في الحيرة وملوك الغساسنة في أطراف الشام.

وقد سجّلتْ مصادرُ الأدب القديم ونقده، وتاريخ الأدب كثيراً من الأحكام والمآخذ التي شكّلتْ النواة الأولى للنقد الأدبي واللّغوي في التراث النقدي العربي، إلّا أنّه يفتقد لمعايير النقد الحديثة، وللقواعد الإجرائية والآليات التطبيقية. فهو نقدٌ بسيطٌ ساذجٌ يرتكز على التقييم والتقويم العام، وعلى التوجيه والمفاضلة والترتيب؛ ذلك أنّ النقد في العصر الجاهلي انبنى على التعليل بعد التذوّق، فهو نقد انطباعي بالدرجة الأولى. فالنقد بدأ في " العصر الجاهلي والأموي ساذجاً فطرياً يعتمد على الإحساس والذوق البسيط ، ثم يأخذ مع أوائل العصر العباسي في الرقي والتعقيد " [14].

وتذكر تلك المصادر الأدبية نماذج تعدّ من عيون النقد، كما تؤسس لنظرة نقدية مبكرة لها قيمتها النقدية والفنية المتميزة؛ لعل" أبرزها ما تعلّق بالشاعر النابغة الذبياني، حيث عابت العربُ عليه فيما يخصّ ظاهرة (الإقواء)[15] ، ولم يستطع أحدُ أن يصارح النابغة بهذا العيب، حتى دخل يثرب مرّة فأسمعوه غناء قوله[(16)]:

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رائحٌ أو مُغتدِى ∴ عَجْلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزَوَّدِ

زَعمَ البوارحُ أنّ رحلتنا غداً ∴ وبذاك حدَّثنا الغُدافُ الأسودُ

فطن ولم يعد إلى ذلك"[(17)].

الخطأ النحوي الذي ارتكبه النابغةُ يتمثّلُ في كونه لم يأبه لرفع النعت، فجعله مجرورا خضوعاً لقافيته، وحين تلقّف الرواةُ البيت أعادوه إلى قاعدته النحوية ووضعوا له مصطلح "الإقواء[(18)]". وهذا الاختلال الصوتي واضحٌ بين كلمتي(مزوّد- الأسود)، والذي عرف – فيما بعد- بالإقواء في علم العروض.

فأهل يثرب يقفون موقف الناقد الذي أَلِفَ سماع انتظام أصوات الشعر، حتى إذا ما اعترى الشعرَ نشازٌ شكليٌ أفقده تناغمه الصوتي، نبّه إليه ولفتَ الأنظارَ نحوه، بل وعابَهُ حتى ولو صدر من شاعر متمرّس كالنابغة الذبياني .

وقد نُقل عن النابغة الذبياني أنه كان في شعره عيوبٌ، فتنبّه إليها لمّا ورد على أهل يثرب فقال: " وردتُ يثرب وفي شعري بعضُ العاهة، ورحلتُ عنها وأنا اشعرُ الناس"[19] . وبرز اسمه كشاعر وناقد يتبارى الشعراء في مجلسه، فقد حدث أن أعاب على الشاعر حسان بن ثابت قوله:

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعْنَ في الضحى وأسيافُنا يقطُرْنَ من نجدةٍ دمَا

لاحظَ النابغةُ الناقدً أنّ شعر حسّان قصر في تأدية المعنى المراد؛ فالصيغة الصرفية (الجفنات) كما تدلّ عليها بنيتها الشكلية تُشير إلى العدد القليل، وكان الأَوْلى أن يوظّف (الجفان)؛ لأنها تقود المعنى إلى مداه، وكان على حسّان أن يوظّف صيغة(سيوف) بدل (أسياف) لتحقيق التعبير الدقيق الذي يحقق الإفادة واتّساع الدلالة[20].

ويروي صاحب كتاب (الموشّح) أنّ طرفةَ بنَ العبد سمعَ المُسَيَّب بن عَلَس ينشد بيته :

وقد أتناسى الهمّ بعد ادّكاره بناجٍ عليه الصَّيْعَرِيّةُ مُكْدَمِ

فقال طرفة- وهو صبيٌ يلعبُ مع الصبيان : استنوق الجملُ[21]؛ لأنّ الصيعرية سمةٌ تكون في عُنق الناقة لا في عُنق الجمل[(22)]، وهو – هنا – يصف الجمل لا الناقة.

الموقفُ النقديُ هنا يمثله طرفة بن العبد، فقام باستهجان اللفظ الذي وظفه الشاعر المسيّب، وكأنّ طرفة يريد من الشاعر أن يكون دقيقا في اختيار اللفظ الذي يؤدي الدلالة.

وما يمكن أن نخلص إليه أنّ النقد في العصر الجاهلي اتّجه أولاً إلى نقد الشكل، أو إلى بنية اللغة. فاللغةُ هي التي تأخذ باهتمام السامع فينصرف منها إلى المعنى، ذلك أنّ " فعل الإبداع يعني أن يتجاوز القارئُ المألوف، فيرتقي مع الشاعر إلى خلق عوالم جديدة ما كان يعرفها"[23].

والبدايةُ الحقيقيةُ للنقد اللّغوي كفرع من فروع العلوم اللغوية كانت متأخّرة إلى العصر الأموي، الذي نشطت فيه العلومُ والمعارفُ، فوجدنا النقد موجّهاً إلى المعاجم اللغوية والقراءات القرآنية واللّهجات العربية، ونقد اللغويين والنحويين الشعراء والكتّاب .

فقد نما النقدُ اللغويُ في هذا العصر، وكثرت مسائله، وتنوعت فيه وجوه الرأي، وجدّ فيه مذهبان: مذهب أهل البصرة، ومذهبُ أهل الكوفة، وكانت فيه طبقاتٌ متعاقبة من رجال المذهبين؛ فمن متقدّمي

نحاة البصرة(عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر الثقفي، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه...)، ومن متقدّمي نحاة الكوفة:(الرؤاسي، والكسائي، والفرّاء...). جهابذة اللغة والنحو هؤلاء يمثّلون النقد اللغوي-النحوي، حيث كانوا يتتبّعون كلام العرب ليستنبطوا منه قواعد النحو، أو وجوه الاشتقاق، أو الأعاريض التي جاء الشعرُ عليها.

تعدّدتْ مناهجُ وطرقُ النقد اللغوي بتعدّد قضاياه وموضوعاته، ونشط في قصور الخلفاء والأمراء والولّاة، واحتدم التنافس بين الشعراء والنحاة، حيث اتّجه اللّغويون إلى الاعتماد على العدّة النحوية والصرفية لتقويم الشّعر وبيان ما فيه من لحْن وغلَط، واتّجه آخرون إلى علم العروض وموسيقى الشعر للوقوف على النشاز في تناغم الأبيات. كما أنّ معايير النقد في هذا العصر تباينت بين الامتداد لمعايير العصر الجاهلي، خاصّة انطباع الذوق، وبين التأسيس لأحكام نقدية مبنية على التعليل والتفسير.

ومن تلك النماذج التي نقلت النقد من الانطباع والسماع إلى العلم والتعليل ما نقله الأنباري عن أبي عمرو بن العلاء " أنّ ابن أبي إسحاق سمع الفرزدق يُنشد:

وعضُّ زمانٍ يا ابنَ مروانَ لم يدَعْ من المال إلّا مُسحتاً أو مُجلّفُ

فقال له ابنُ أبي إسحاق: على أيّ شيء ترفعُ (أو مجلّفُ)، فقال: على ما يسوؤك وينوؤك. قال أبو عمرو: أصبْتَ، وهو جائزٌ على المعنى؛ أي لم يبق سواه "[24].

فابن أبي إسحاق كان ناقداً لغوياً، وقد وظّف ما استقرّ عند علماء النحو من أبواب النحو والصرف في تقويم القول الشعري، وذلك للحفاظ على سلامة اللسان العربي من الوقوع في الخطأ. هكذا أصبح لقواعد النحو السلطة الكاملة في ضبط كلام الشعراء، وأضحى الشاعر يستشعر وجود تلك القواعد والضوابط، ولا مفرّ له إلّا بالامتثال لها .

الملاحظ أنّ النقد اللغوي في العصر الأموي قد تجاوز الذوق والانطباع إلى التهذيب والتحليل، كما استطاع أن يؤسّس لمجموعة من القواعد النقدية الصارمة التي تحفظ اللسان من الوقوع في اللحن والخطأ، وهكذا أضحى النقدُ اللغويُ صناعة كصناعة الأدب يستند إلى العلم لا إلى الذوق، وإلى التحليل لا إلى الانطباع .

معايير الحُكم النقدي اللغوي في التراث النقدي العربي:

أ- معيار الصواب والخطأ :

بادئ بدء نتساءل : هل مقياس الصواب والخطأ مطّرد ثابت على مر العصور؟

والجواب: هو أنّ الواقعَ يشهد أنّ اللغة كائنٌ حيٌّ ينمو ويتطوّر، وأنّ القوانين الاجتماعية تتحكّم في ما يحدث لها من تغيّر. ولمّا كانت اللّغة مظهرا اجتماعيا، يصعب فصلها عن الإطار المعرفي والعاطفي للإنسان ،

كان من المنطقي تعرّضها للتغيير، وبالتالي يُسمح لألفاظ وتراكيب مرفوضة بالدخول في معجم صواب اللغة، وهكذا يُسلبُ من مقياس الصواب صفة الثبات .

وهذا الكلام لا يعني التخلّي عن معيارية اللغة، بل هو ضروري للحفاظ على سلامة اللغة وصحتها، والذي يحافظ على المقياس الصوابي " ويحرسه، ويقوم عليه هو المجتمع، أو مجموع أفراده، ومن ثمّ يُصبحُ كلّ شخص خاضعا لهذا المستوى الصوابي ، ولكنه له في الوقت نفسه أن يبدع في اللغة، فإذا صادف ما أبدعه قبولاً عاماً في المجتمع ، كان هذا الفردُ إلى جانب كونه خاضعاً للمستوى الصوابي ، خالقاً له ومشتركاً في القيام عليه . وبهذا يكون من المحتمل، بالنسبة للفرد، أن يكون مؤثّرا أو متأثرا بالنسبة للمستوى الصوابي"[25].

يمكن تقسيم المعايير التي استنبطها أهلُ اللغة والنحو على قسمين :

الأول: معايير ثابتة لا يختلف عليها اثنان، ولا يعتورها التغيير؛ لأنّها تمسّ ثابتا لغوياً يمثّلُ عمود اللّغة ، نحو : اشتقاق اسم الفاعل ، ورفع المبتدأ ونصب المفعول... إلى آخره .

الثاني : معايير تنتمي إلى مذهب نحوي يُؤمن بأنّ ما يذهب إليه هو الثابتُ الصحيحُ . وهذا يتمثل بالمذاهب الكوفية والبصرية والبغدادية .

ب- معيار الجودة والرداءة في التركيب:

تناول الكثيرُ من النقّاد، قديما وحديثا، معايير الجودة والرداءة في التراكيب النحوية ، وقد جمع الدكتور نعمة رحيم العزاوي ما تفرّق منها، وهي[26] :

1-الانسياب، ويعني: انسجام أصوات الجملة، فلا يتكرّر فيها حرفٌ ، أو تتقارب مخارج الصوت تقارباً يكسب السلسلة النطقية ثقلا، أو تكرار أفعال وأسماء معينة.

2-موسيقى التركيب التي تتكون بالازدواج والتوازن والسجع والترصيع .

3-الوضوح والغموض .

4-وحدة الانسجام : وهو يعني : مجيء الألفاظ في التركيب على صفة واحدة .

ويمكن أن نخلص إلى أنّ معايير الجودة والرداءة تدور حول انسجام الألفاظ، معنىً وموسيقى ومقاماً ، وذلك لأنّ النص لا يوسمُ بالاتّساق[27] ما لم تتضافر مستويات اللغة وقوانينها في إنتاجه.

يمكنُ للمتكلّمُ أن يعتمد على حركة إعرابية معيّنة تشير إلى الترتيب المعياري للتركيب ووضْع الكلمات في مواضعها الأصلية، لأنّ اعتماد حركة بديلة تُشيرُ إلى تحرّك الكلمة عن موضعها الأصلي قد لا يؤدّي المعنى الذي يريد المتكلمُ إيصاله إلى المتلقّي، ومنه قول أبي النجم العجلي :

قد أصبحتْ أمُّ الخيار تدّعي عليّ ذنباً كلّه لم أصنع[28]

فعندما يذهبُ الشاعرُ إلى النّصب على تقديم المفعول به فيقول : (**كلّه لم أصنع**)، فذلك يقتضي أن يكون قد أتى من الذنب الذي ادّعتْهُ بعضه، أمّا الرّفع، فيجعل من الشاعر معتمداً على الثوابت النحوية في التركيب (**مبتدأ + خبر**). وذلك ما يريده الشاعر ، ويشير إلى أنها (**تدّعي عليه ذنباً لم يصنع منه شيئاً البتة لا قليلاً ولا كثيراً ولا بعضاً ولا كُلاً**)على عكس النصب الذي يمنع هذا المعنى[29] .

نقد الألفاظ ونقد التراكيب:

أولاً: نقد اللفظ:

يتناولُ النقدُ اللغويُ نقدَ الألفاظ كما يتناول نقد التركيب؛ ونقده للّفظ يتأسسُ على اعتبار الكلمة العربيةُ أصغر وحدة دلالية في منظور الدرس اللغوي الحديث، والكلمات وحدات لغوية، ولكنها ليست وحدات صوتية وليس في التحليل الصوتي، لنسق من الأصوات المنطوقة، ما يكشف لنا عن عدد الكلمات التي يتكون منها هذا النسق ، ولا عن الحد الفاصل بين كلمة وكلمة[30].

فالسلسلة الصوتية للجمل لا يمكن تحديد كلماتها اعتماداً على نماذج ثابتة مطّردة من الأنساق الصوتية، وقد فرّق القدماءُ بين الكلمة واللّفظ ، فالكلمةُ لا بدّ من أن تدلّ على معنى ، أمّا اللفظُ فتسقط عنه هذه البديهة[31] . وللكلمة شكلٌ صوتيٌ مسموعٌ ومرئيٌ مكتوبٌ، ولها أيضا توزيعان. أحدهما : توزيعٌ نحويٌ يُحدّد كيفية استخدام الكلمة في الجملة ، والآخر: توزيعٌ أسلوبيٌ يُحدّد استخدامها في المواقف الكلامية، كأن يكون في النثر أو في الشعر أو في اللهجة الفصيحة أو في اللهجة العامية[32].

وتنتظم المستوى الصوتي مقاييس المفردة التي اختلف القدماء في قبول نقدها ، حيث أقرّ ابنُ الأثير مثلاً[33] ضرورة نقدها، في حين رفض عبد القاهر الجرجاني النظر إلى اللّفظة بمعزل عن السياق[34]. يقول الدكتور نعمة العزاوي:" وهو رأيٌ يخالفُ ابن سنان وابن الأثير وغيرهما من القائلين بأنّ اللفظةَ المفردةَ يُمكن أن تُوصفَ بجمال أو قبح ، وتُنعتَ بجودة أو رداءة، ذلك لأنّ عبد القاهر لم يجعل للكلمة ، وهي خارج التأليف، أيّ شأن أو قيمة، ولم يرها تستحقّ أن تُوصفَ بجمال أو قبح ، بجودة أو رداءة ، حتى تدخل في تركيب ، وتتآخى مع غيرها في سياق. فالفصاحةُ عند عبد القاهر من خصائص النظم، وليست من خصائص اللفظ"[35] .

فالكلمةُ خارج التأليف محايدة حياداً تامّاً، في حين أنّها داخل التأليف تشغل وضعاً فضائياً متحيّزاً، وتخضع لطبيعة العلاقات المتولّدة عن هذا الوضع ، ومن ثمّ فإنّ قيمتها تكون نتاج هذا الوضع ومتولّدة عنه، وليست نتاج خصائص ذاتية تنطوي عليها الكلمةُ خارج أي تحيّز.

وعليه، فلا إمكانية – من منظور عبد القاهر – لأن يكون ثمّة وجهٌ للتفاضل بين كلمة وأخرى خارج التأليف– أي : على مستوى اللغة – إلّا فيما يرتد إلى عوامل تداولية ، كأن تكون مألوفة مستعملة، في مقابل أخرى غريبة وحشية، أو أن تكون كلمة أسهل من أخرى من حيث الأداء الصوتي .

فمقياس السهولة الصوتية، والاستعمال الذي يجانب الغرابة والوحشية- والتي قد تكون غير معيبة عند بعض العلماء إذا كان الناظم بدويا _ هي ثوابتُ نقدية ينطلق منها الناقدُ اللّغويُ للحُكم على أيّ لفظة .

ثانياً: نقد التركيب:

قد يعلو نقد التركيب على نقد اللفظة، وهذا ما نجده عند عبد القاهر الجرجاني؛ لأنّ غاية اللّغة الإفهام، ولا يتحقق الإفهامُ إلّا بالكلام ، الذي تكون فيه الجملةُ لبنةَ النصّ.

ويمكن تشبيه بناء اللّغة بالهرم المقلوب، الذي يبدأ بالصوت، ثمّ المفردة ، ثمّ الجملة التي هي أساس البنية اللغوية، ثمّ النصّ الذي يحمل المعنى العام. ويمتاز هذا الهرمُ بـ" التنسيق والترابط المنطقي"[36].

النقدُ اللغويُ يتناول مستويات الهرم اللّغوي جميعها، بحيث يقوم الناقدُ اللغويُ بإخضاع النص لمقاييس اللغة، فيصدر على المنقود حكمين: الأول: الصّواب أو الخطأ، والثاني : الجودة أو الرداءة . ولنا أن نتساءل : ما مدى ثبات المقياس اللغوي-النحوي ؟ ، وما نوع العلاقة بين المقياس النحوي والنص الأدبي المنقود ؟ وهل المقياس اللغوي الذي يُعرضُ عليه النص الأدبي، يعرض عليه أيضا كلام الجماعة اللغوية ؟! .

ويتعرّض النقد النحوي للمحاور الآتية:

1-نقد نصوص لغوية بمعايير النحو ومقاييسه .

2- نقد وجوه إعرابية وتقديرات نحوية .

3- الجودة والرداءة في التركيب .

أمّا ثبات المقياس اللغوي- النحوي فهو حاصل نسبيا، وقد فرّق النقّادُ بين (قوانين الألفاظ المركبة) الخاصّة بكلام الجماعة اللغوية، والقوانين اللّغوية الخاصة بالنصّ الأدبي؛ إذ لكلّ مستوى من المستويات اللغوية له قوانينه البنائية الثابتة، وقد يقوم الشاعر/المبدعُ بكسر نظام الإمكانات اللغوية، وذلك لزيادة عدد الدلالات الممكنة[37].

فالكلام " لا يستقيم ولا تحصل منافعه، التي هي الدّلالاتُ على المقاصد، إلّا بمراعاة أحكام النحو فيه من الإعراب والترتيب الخاص"[38] . غير أنّه يحقّ للمتكلّم/المبدع أن يتصرّف بالقواعد النحوية لمصلحة المعنى، من أجل تحصيل البلاغة، ولا يتمّ ذلك إلّا بالقيام بعملية تجاوز القواعد النمطية المطردة في الأشكال والأبنية اللغوية المعيارية.

وهذا لا يعني الضرب بالمقياس اللغوي- النحوي عرض الحائط ، بل يعني التجاوز عليه دون الاجتراء على ثوابته، فالتزامه يعني الصواب. فإن مسّ المتكلّمُ/المبدعُ هذه الثوابت حُكم عليه بالخطأ، أو ربما قد يتأوّلون له كلامه ليوافق تخريج وتوجيه القواعد النحوية، نحو قول الشاعر[39]:

حتى لحقنا بهم تعدّى فوارسُنا كأنّنا رعنُ قف يرفع الآلا

وُجّهتْ اعتراضاتٌ كثيرةٌ على رفع المفعول به (رعن قف) ونصْب الفاعل (الآلا)، وهذا عند العلماء من المقلوب، فأصلُ الكلام : (كأننا رعنَ قف يرفعُهُ الآلُ) . أمّا ابنُ جنّي فيرى أنّ الشاعر في نصبه الفاعل ورفعه المفعول به قد أتى " على سمْتٍ من القياس، ومطرب متورد بين الناس"[40]، وذلك لأنّه أتى بعلّة رفع الفاعل ونصب المفعول، وهي علةُ الفرق، أو أنّ الشاعر أعمل المعنى، فكأنّ (رعن قف) الفاعل بالمعنى ، وهو الذي نصب (الآل).

وإذا تأمّلنا هذا التأويل وجدناه لا يخلو من التكلّف، إذ إنّ إعمال المعنى يفتح باباً كبيراً في الاجتراء على الثوابت النحوية فيه، وهذا يدعو إلى الانفلات من كلّ معيار علمي.

الخاتمة:

في خاتمة هذا البحث يليق بنا أن نسرد مجموعة من النتائج :

1- اللغةُ هي أوّل ما كان يواجه اللغويين والنحويين، ويستثير اهتمامهم هو اللّغة والنحو وفقاً لمجال عملهم، فكانوا يتتبّعون كلامَ العرب لتصحيح الأخطاء اللغوية والنحوية، ليستنبطوا منه قواعد النحو.
2- النقد اللغوي في التراث النقدي العربي كانت بداياته نقدا ساذجا فطريا يعتمد على الإحساس والذوق، ثمّ أخذ في الرقي والتعقيد إلى أن وقف وأصبح علماً تحكمه مقاييس ومعايير علمية.
3- الموهبة شرطٌ أساسيٌ للناقد اللغوي، كما أنّ التربية الأدبية الطويلة شرطٌ آخر لا غنى للناقد عنه.
4- تعرّض اللسان العربي إلى موجات من اللحن من أبرز الأسباب التي دعت إلى ظهور النقد اللغوي.
5- يتّجه النقد اللغوي إلى دراسة النصّ وتحليله بمعيارين: معيار الصواب والخطأ(صرامة القواعد النحوية والصرفية)، ومعيار الجودة والرداءة (مقاييس لغوية ذات طبيعة جمالية).
6- الصواب عند النقّاد اللغويين ما وافق لسان العرب بقواعده وضوابطه، وهو مقياسٌ قريبٌ من الدقّة والموضوعية.

الهوامش:

---

[40] ابن جني، الخصائص(مص.س)، 135/1 .

([1]) الفراهيدي الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان(د.ط)، 118/5، مادة(نقد) .

([2]) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين،دار المعارف، القاهرة، مصر،ط2، 4517/6. مادة(نقد).

([3]) البيت للفرزدق، ومن بحر البسيط. ينظر: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط1، 1420هـ -1999، 28/1. تنفي: تطرد وتبعد، الهاجرة: وقت اشتداد الحرّ، الصياريف، جمع صيرف: وهو الخبيرُ بالنقد.

([4]) ابن الجوزي، صفة الصفوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1401هـ-1981م، 638/1.

([5]) الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد(ت370ه)، تهذيب اللغة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكاتب العربي، ومطابع سجل التراث، القاهرة، 9،36/1967 مادة (نقد)..

([6]) ينظر: أمين أحمد،النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط5، 1983م، ص 1.

([7]) ربداوي محمود، دراسات في النقد العربي القديم(تاريخه وقضاياه ومصطلحه)، دار العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 2008م، ص7.

([8]) شوقي ضيف، النقد الأدبي، دار المعارف، مصر، ط3، 1974م، ص 8.

([9]) الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص 413.

([10]) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق، عمّان، الأردن، ط1، 2001م، ص 646.

([11]) العزاوي نعمة رحيم، النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، 1978م، ص 19.

([12]) ينظر:العزاوي نعمة رحيم، النقد اللغوي عند العرب(مر.س)، ص 24.

([13]) ابن طباطبا محمد بن أحمد العلوي، عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1984م، ص 20، 21.

([14]) الحاجري طه، في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية، مطبعة رويال، القاهرة، مصر، 1953م، ص 18 .

([15]) الإقواء: ظاهرة تخصّ عروض الشعر؛ أي اختلاف حركة الروي في القصيدة.

([16]) البيتان في ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط3، مصر، ص 89 ط . وقد روي البيتان برواية مختلفة (مغتد) بحذف الياء، و(الغراب) بدل الغداف، و(خبّرنا) بدل (حدثنا).

([17]) طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الحكمة – بيروت، لبنان.ط ، ص 12-13.

([18]) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، طبعة دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، 303/9.

([19]) ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري، الشعر والشعراء، وقف على تصحيحه نخبة من الأدباء، إصدار دار الفكر، بيروت، لبنان، 157/1.

([20]) طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجر(مر.س)، ص 13-14.

(1[2]) يتظر: المرزباني أبو عبد الله محمد بن عمران، الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، 1965م، ص 109.

(2[2]) ينظر: ابن منظور، لسان العرب(مص.س)، مادة (صعر)، 2448/4.

(3[2]) كبابة وحيد صبحي، الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، منشورات إتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، 1997م، ص 24.

(4[2]) الأنباري أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط3، 1405هـ – 1985م ، ص 29.

(5[2]) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية،عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط4، 2000م، ص 68 .

(6[2]) ينظر: النقد اللغوي عند العرب(مر.س)، ص 290 _315 .

(7[2]) (الاتساق) يعني : ترابط أجزاء النص، ينظر: خطابي محمد، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991م، ص 13-27 .

(8[2]) ينظر: سيبويه، الكتاب(مص.س) ، 1/ 85 وما بعدها، والجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر، ط5، 2004م، ص 270.

(9[2]) ينظر: دلائل الإعجاز، ص 270 .

(0[3]) ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990م، ص 224.

(1[3]) ينظر: ابن يعيش موفق الدين النحوي، شرح المفصل، عالم الكتب - بيروت، ومكتبة المتنبي – القاهرة، 19/1 .

(2[3]) ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998م، ص 189-190 .

(3[3]) ينظر: ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، مطبعة الرسالة ، القاهرة، مصر، ط1 ، 1381هـ. 1962م، 143/1-154 .

(4[3]) ينظر: دلائل الإعجاز(مص.س)، ص 45-47 .

(5[3]) العزاوي نعمة رحيم، النقد اللغوي عند العرب(مر.س)، ص 201 .

(6[3]) جاكبسون رومان، أفكار وآراء حول اللسانيات والأدب، ترجمة: عبد الجبار محمد علي، ، سلسلة المائة كتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، العراق، 49 .

(7[3]) ينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998م، ص 251 .

(8[3]) الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، القاهرة، مصر، 1991 ، ص 65 .

(9[3]) نسبه ابن جني إلى الجعدي ،ينظر:الخصائص1 / 134 ، و(الرعن) أول كل شئ و(القف)ما غلظ من الأرض ،و(الآل) السراب .

المصادر والمراجع

أوّلاً: المصادر:

1- ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، مطبعة الرسالة ، القاهرة، مصر، ط1 ، 1381هـ. 1962م.

2- الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد(ت370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكاتب العربي، ومطابع سجل التراث، القاهرة، 9،1967.

3- الأنباري أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط3، 1405هـ – 1985م .

الجرجاني عبد القاهر:

4- أسرار البلاغة، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، القاهرة، مصر، 1991 .

5- دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر، ط5، 2004م.

6- الجرجاني القاضي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

7- ابن الجوزي، صفة الصفوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1401هـ-1981م.

8- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط1، 1420هـ -1999.

9- ابن طباطبا محمد بن أحمد العلوي، عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1984م.

10- الفراهيدي الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان(د.ط)، 118/5، مادة(نقد) .

11- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، طبعة دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، 303/9.

12- ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري، الشعر والشعراء، وقف على تصحيحه نخبة من الأدباء، إصدار دار الفكر، بيروت، لبنان.

13- المرزباني أبو عبد الله محمد بن عمران، الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، 1965م.

14- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين،دار المعارف، القاهرة، مصر،ط1983،2م.

15- - النابغة الذبياني، ديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط3، مصر.

16- ابن يعيش موفق الدين النحوي، شرح المفصل، عالم الكتب - بيروت، ومكتبة المتنبي – القاهرة(د.ت.ط).

ثانياً: المراجع:

17- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق، عمّان، الأردن، ط1، 2001م.

18- أمين أحمد،النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط5، 1983م.

19- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998م.

تمام حسان:

20- اللغة بين المعيارية والوصفية،عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط4، 2000م.

21- مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990م.

22- جاكبسون رومان، أفكار وآراء حول اللسانيات والأدب، ترجمة: عبد الجبار محمد علي، ، سلسلة المائة كتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، العراق .

23- الحاجري طه، في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية، مطبعة رويال، القاهرة، مصر، 1953م.

24- خطابي محمد، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991م.

25- ربداوي محمود، دراسات في النقد العربي القديم(تاريخه وقضاياه ومصطلحه)، دار العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 2008م.

26- ضيف، النقد الأدبي، دار المعارف، مصر، ط3، 1974م.

27- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998م.
28- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الحكمة – بيروت، لبنان.
29- العزاوي نعمة رحيم، النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، 1978م.
30- كبابة وحيد صبحي، الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، منشورات إتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، 1997م.